

التحضر في المدن الجديدة بالجزائر: رؤية سوسيولوجية

بودن آمنة

باحثة في مرحلة الدكتوراه

جامعة قسنطينة - 2-

مقدمة :

لقد شهدت الفترة منذ منتصف القرن العشرين نموا حضريا متزايدا لم يعرف له مثيل منذ بدء التاريخ، الى الحد الذي سبغ فيه القرن العشرين بقرن المدن بامتياز، وتشير الظواهر العديدة الى الأهمية المتزايدة للمدن في حياة البشر، كونها تمثل الحاضنة لملايين البشر الذين يبحثون عن فرص حياتية أفضل الأمر الذي يثقل كاهل تلك المدن، إذ أنهتوجد متطلبات تقتضي من سكان المدن تكييف أنفسهم وتصرفاتهم وفقا للحياة الحضرية وبما يتناسب والمعايير الحضرية السائدة في المدن، وهو الأمر الذي جعل المخططين وصناع القرار يواجهون صعوبات كبيرة في سبيل تحقيق التنمية والرفق بالحياة الاجتماعية لسكان الحضر، وعلى مستوى البدائل العمرانية والتنمية لحل مشكلات هذه المدن انتهجت مختلف الدول سياسة المدن الجديدة كاستراتيجية محورية ضمن أليات التخطيط والتهيئة العمرانية في سياق التنمية الحضرية المستدامة، وتطرح فكرة المدن الجديدة في الجزائر كأداة للتهيئة ونمط من أنماط التنظيم والتخطيط المجالي بهدف توازن البيئة العمرانية الوطنية، بالنظر الى تضخم المدن الكبرى لأجل استيعاب الزائد من السكان والأنشطة، وكما تسعى على مداها البعيد لتحقيق هدف آخر، وهو ما ينتج عن هذا التحول من تحقيق لعمليات التكيف في البيئة الحضرية الجديدة، من ثمة تعدد عملية التحضر والتي ترتبط أساسا بالاستقرار ونسج علاقات اجتماعية جديدة تتماشى وطبيعة المجتمع الحضري الجديد، من التحديات التي تواجه إقامة وتعمير المدن الجديدة في الجزائر.

أولا: مقارنة نظرية للتحضر.

1. لغة: جاء في لسان العرب أن مفهوم التحضر مأخوذ من لفظ يقصد به "التواجد والحضور الدائم والاستقرار والاقامة بالمدن".⁽¹⁾

2. اصطلاحاً : التحضر يرتبط بالبناء الاجتماعي ككل، إذ يرتبط بكل جوانب الحياة في المجتمع، وهو "عملية مؤثرة في النظم الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي، كما أنه وثيق الصلة بنسق القيم السائدة، يتبلور في ضوء أفكار الناس وتقاليدهم وعاداتهم ويؤثر في تحديد أنماط سلوكهم وفق القيم"⁽²⁾.

وهو "عملية تبدل أو تحول الثقافة أو هو عملية تحديث تستبدل ثقافة تقليدية بثقافة أخرى حضرية"⁽³⁾. ويعرف أنه "انتشار لأنماط السلوك وأساليب التفكير الحضرية أو يعني انتشار سمات وخصائص حياة المدينة والمناطق الحضرية لدى جماعة ما"⁽⁴⁾.

يرى Philip Mayer أن مفهوم التحضر يعني: "عملية التحول إلى حضري، ويتم هذا من خلال حركة الناس وعملياتهم الاجتماعية التي من خلالها يتم انتقال سكاني إلى المدن، وبالتالي تتغير العمليات الاجتماعية، وما يترتب عن ذلك من تغير في أنماط السلوك كنتيجة للمعيشة في المدن"⁽⁵⁾.

3. التعريف الاجرائي :

التحضر في معناه السوسيولوجي هو "تلك العمليات المصاحبة للتحويلات المكانية والديمغرافية والبيئية والتنظيمية التي تصيب التجمع السكاني الحضري، فالمسافات المكانية السائدة بين السكان في التجمع الحضري، تترك آثاراً واضحة على علاقات الأفراد والجماعات بالنسبة لكثافة الاتصال ودرجة التفاعل وحجم التجمع السكاني والانتماء التنظيمي القسري والطوعي، كل ذلك يحدث نمطاً جديداً تماماً من العلاقات والسلوكيات والتصورات ينتج عنه ما يسمى ثقافة المدينة (الثقافة الحضرية) بمعاييرها وقيمها".

4. معاني التحضر في ضوء العمليات الاجتماعية المصاحبة :

المعنى الجغرافي : يتضمن اتساع الرقعة الجغرافية الوطنية للتجمعات السكنية الحضرية، وما يطرأ عليها من تحول اقتصادي أو إداري، أو بظهور تجمعات حضرية جديدة.

2.4. المعنى الديمغرافي: ازدياد عدد سكان التجمع السكاني الحضري نتيجة عملتين ديمغرافيتين أساسين: النمو السكاني الطبيعي للتجمع، والنمو السكاني الناتج عن الحركة الجغرافية للسكان.

ويرى DivisKingsly أن التحضر هو "نسبة السكان الذين يشعرون في المستوطنات الحضرية من إجمالي السكاني ويؤكد أنه من الخطأ التفكير بعملية التحضر على أنها نمو المدن"⁽⁶⁾.

3.4. المعنى الايكولوجي : يشير لجانب البيئة الناتجة عن عميلة التحضر من ازدياد عدد البنايات وتجاورها وتوسع حجم المدينة وارتفاع كثافتها، وظهور الأحياء ذات الأنشطة المتخصصة، فتنتج تبعاً لذلك بيئة اجتماعية خاصة تتميز بعلاقات جوار خاصة، وكثافة التفاعل الاجتماعي والاتصال المباشر وغير المباشر .

فالبينة الحضرية قد تؤدي إلى تلاقح الأفكار وانتشارها وتبادلها فينتج عن ذلك ابداع، فتتحول إلى بيئة اشعاع فكري وثقافي، كما قد تؤدي كذلك إلى انتشار الأمراض الاجتماعية، وقلّة الأمن والاضطرابات الاجتماعية الناجمة عن عدم التحكم في دينامية المجتمع الحضري، كما أنها توفر فضاء للحدية والتفاعل والتباين الشديد والفردية والنوعية في العلاقات الاجتماعية فالتحضر ينتج بيئة ذات طبيعة خاصة.⁽⁷⁾

4.4. المعنى التنظيمي: المدينة تنظيم اجتماعي كبير سيطر فيه الانسان على المجال والنشاطات والعلاقات الانسانية بفضل تنظيمات ضبط الحياة الجماعية وعلاقاتها، وأبرز مظهر تنظيمي يصاحب التحضر هو الضبط الاجتماعي الذي ينتقل من الاعتماد على الأعراف إلى الضبط القانوني.⁽⁸⁾

5.4. تنطلق النظرة الحديثة للتحضر في نطاق المدخل الاقتصادي من فرضية أساسية مفادها أن حركة السكان تابعة للنشاط الاقتصادي بحثاً عن فرص العمل⁽⁹⁾، "فحسب هذا المدخل فالأساس الاقتصادي هو المعيار الحاسم في نشأة المدن وتطورها وأيضا مشكلاتها".⁽¹⁰⁾

6.4. أما المدخل السياسي - الإداري فيركز أساسا على العامل السياسي في التحضر، سواء كان الأمر يتعلق بدور الدولة في إنشاء المدن وتخطيطها وتنظيمها، والتعمد في إنشاء مراكز إدارية في إطار سياستها الإدارية والتي يترتب عليها ظهور مراكز حضرية نتيجة لذلك، باعتبار المدينة هي مركز السلطة والحكم ومن ثمة الإدارة وما يرتبط بها من مصالح للسكان، التي يتبعها تركيز في النشاط، وهكذا يصبح التحضر حتمية سياسية.⁽¹¹⁾

7.4. يرى المدخل التاريخي المقارن والذي تطور بالخصوص على يد "ماكس فيبر" حيث يعرف بالاتجاه المثالي، إذ تقرر الحضرية والتحضر بالنسبة إليه في ضوء المؤسسات والتنظيمات التي يحتويها تجمع سكاني ما، أما "بوسكوف" فحدد ثلاث أشكال للموجات الحضرية وهي: * الفترة الكلاسيكية للتحضر: أين ظهرت المراكز الحضرية حول أحواض الأنهار والأودية.

* فترة القرون الوسطى (من سنة 1000/1800): حيث ظهرت بها بعض المدن ذات الطابع التجاري والديني.

* الفترة الحديثة (ما بعد 1800) والتحضر فيها مرتبط أساسا بالنمو الصناعي الكبير.⁽¹²⁾

8.4. أما مدخل التغير الاجتماعي وهو للعالم العربي "عبد الرحمان بن خلدون"، فيرى أن المجتمع الحضري هو حسيلة التطورات الاجتماعية والاقتصادية الحاصلة في المجتمع البدوي، والمتمثلة في تجاوز سكانه مرحلة الاكتفاء بالضروريات في معاشهم والتطلع إلى الكماليات نتيجة لتعاونهم الذي هو نتيجة لاجتماعهم الضروري، فهو يتصور مسار التحضر في خط مستقيم بالشكل التالي:

"لا تستقيم حياة الإنسان إلا ← بالاجتماع ← التعاون ← انتاج ما فوق الضروري ← الإنفاق على الكماليات وصنائع العمران الحضري".⁽¹³⁾

1.5. التحضر والحضرية:

مما لا شك فيه أنه إذا تكلمنا على التحضر فهذا يدفعنا للحديث عن الحضرية باعتبارها نمط من أنماط السلوك، وكل سلوك هو سلوك هادف، ومنضبط فتصبح أنماط السلوك الحضري وضوابطه وأهدافه هي ظواهر مستمرة في ما يسود البناء الحضري من معايير ونظام، و تعتبر الحضرية نمط سلوكي خاص بسلوك المدينة وأهم سمة لها هي شكل العلاقات التي تقوم بين الناس ونوع العمل الذي يقومون به، والتخصص وتقسيم العمل ومدى اتساع نطاقه⁽¹⁴⁾. كما تعرف أنها نوع من التكيف مع الحياة المجتمعية الجديدة، بعد ذلك التغير في أسلوب الحياة من نمط إلى نمط آخر⁽¹⁵⁾.

2.5. خصائص أسلوب الحياة الحضرية: - تؤدي زيادة حجم السكان وكثافتهم إلى وجود علاقات سطحية غير شخصية، فيتحرر الأفراد من التقاليد الانتمائية، ومن اعتمادهم على الجماعات الثانوية التي يجب أن يتوفر بها الضبط الاجتماعي.

- تتميز المدينة بتقسيم العمل والتخصص في المهن وانتاج السلع والخدمات، وكلما زاد هذا تنمو تبعاً له المدينة في الحجم، ويؤدي ذلك إلى اعتمادها على نفسها في تبادل السلع والخدمات.

- استخدام قوة الآلة⁽¹⁶⁾.

- شدة التنقل في حياة الفرد اليومية، وتغييره الدائم لمكان الإقامة والمهنة والمكانة الاجتماعية.

- التغير المستمر في عناصر البيئة الحضرية خصوصاً التكنولوجيا وزيادة القدرة على التكيف.

- اهتمام الفرد والجماعة بعامل ضبط الوقت.

- توافر خطوط المواصلات⁽¹⁷⁾.

6. المظاهر التاريخية للتحضر:

تعود أولى مظاهر التحضر الى أكثر من 6000 عام وقد ظهرت في منطقة المشرق العربي وبالتحديد في مصر وبلاد الشام والعراق، أين ظهرت حضارات مزدهرة وكان ظهورها مرتبطاً بتقدم مجموعة المعارف الانسانية والأساليب الفنية المستخدمة في تلبية الحاجات، وبعد الفتح الاسلامي ازدادت حركة التحضر إذ أخذ المسلمون يطورون المدن والقلع والحصون، وكانت تنمو الى جانب ذلك عوامل الاستقرار المرتبطة بتوفير وسائل العيش، أما في الغرب فقد أخذت بالتزايد الفعلي إذ برزت مظاهر التحضر منذ الألف الأولى قبل الميلاد، ففي غضون القرنين السابع والثامن قبل الميلاد أخذت تنتشر ظاهرة (المدينة - الدولة) وتعد المدن اليونانية خير نموذج، أما في العصور الحديثة اختلفت ظاهرة

التحضر عما كانت عليه في الماضي أين كانت مبنية على الوظائف التجارية والعسكرية والدينية بالإضافة الى تركيز الحرف والصناعات، وأضحت اليوم قائمة على التطور الصناعي الهائل حيث أدى التطور الصناعي الكبير في وسائل الزراعة والانتاج الزراعي الى ظهور الفائض في القوى العاملة الزراعية، ما اضطر المزارعين للهجرة الى المدن للعمل⁽¹⁸⁾. فحتى عام 1800م نسبة سكان الحضر في مختلف أنحاء العالم لم تتجاوز 2 %، أما في عام 1900م فقد وصلت 15% فقط أو ما يعادل 250 مليون نسمة تعيش بالمدن، أما السنوات الـ 50 الأخيرة فقد كانت مميزة على صعيد عدد الأفراد الذين تم استيعابهم في مدن العالم حيث بلغ المجموع التراكمي لسكان الحضر حول العالم 500 مليون نسمة خلال النصف الأول من القرن العشرين، بيد أنه خلال النصف الثاني ارتفع الى ما يقارب 2.1 مليار نسمة⁽¹⁹⁾.

7. نماذج التحضر:

- 1.7. التحضر البدائي: عبارة عن محاولات متكررة من قبل الإنسان للعيش في المراكز الحضرية والتكيف مع البيئة الفيزيائية والاجتماعية.
 - 2.7. التحضر المتميز: يمثل مرحلة اكتمال المدن من حيث وظائفها وخصائصها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المؤثرة على المجتمع الحضري، كان واضحا في المدن ذات النشأة الأولى.
 - 3.7. التحضر الكلاسيكي: يمثل ظاهرة التمرکز السكاني في المدن الرئيسية بسبب القيود التي تعرضت لها تلك المدن حول نمو سكانها.
 - 4.7. التحضر الصناعي: مرحلة انتقال السكان للأماكن المجاورة للمدن للإقامة والعيش فيها للعمل في الصناعة، وتحسين مستويات معيشتهم⁽²⁰⁾.
8. سمات التحضر:

ميز ابن خلدون بين سكان الحضر وغير الحضر بطرق سكانية وأساليب معيشتهم وطباعهم وأخلاقهم، ويميز بين خصائص أهل الحضر وأهل البادية فيقرر أن سكان البادية يميلون لحب الخير والتحلي بالشجاعة على عكس سكان الحضر الذين تعودوا على الخضوع للقوانين الوضعية، ويقرر أن حياة البداوة خشنة وغير مترفة، وباتصاف سكان الحضر بهذه الصفات يميلون للتصنع والتكلف رغم كل هذا يؤكد أنهم صانعو الحضارة التي يعتبرها غاية العمران والحياة الحضرية، وامتدت النظرة التشاؤمية للمفكرين الأوروبيين فـ "J. J. Russeux" يرى أن حياة الحضر تبعث على الامتعاض وخيبة الأمل، ويعزو تفكك المجتمع الحضري إلى الأنانية المطلقة لسكان المدن وركضهم وراء الحياة المادية، وشدة المنافسة والعدوانية⁽²¹⁾.

9. الخلفية النظرية للتحضر:

يرى الدكتور "اسحاق القطب" أنه لتطوير نظرية حول التحضر لا بد من أخذ اعتبار حدود وخصائص المجتمع المحلي والحضرية والمجتمع الحضري والايكولوجيا، واعتبر جهود العلماء لتشكيل وتطوير نظرية حول التحضر مازالت تواجه مشاكل، واستعرض أهم المدارس النظرية في علم الاجتماع وأبرزها المدرسة الحضرية والتي تشمل عملية الانتقال من الزراعة الى الصناعة أو الوضع الحضري، والأبعاد الاجتماعية المكانية في تفسير الظواهر السلوكية في مجال التفاعل الاقتصادي والاجتماعي على أسس أيكولوجية، والمدرسة الأيكولوجية التي ترى أن درجة التحضر في المجتمع تتناسب بصورة طردية مع طبيعة نظام تقسيم العمل، كما تتناسب طردا مع التكنولوجيا، أما المدرسة الاقتصادية فقد صنفت المدن الى المدينة التي يسودها نظام الرق والمدينة الاقطاعية والمدينة الرأسمالية والمدينة الاشتراكية وهذا التدرج في الانتقال مرتبط بالتغيرات في أنماط الاستهلاك، أما المدرسة البيئية فتتجهم بالتفاعل بين الطبيعة والانسان وضرورة تأقلمه، أما المدرسة التكنولوجية فتري أن للتصنيع تأثير كبير في التحضر وتطور المدن، وأخيرا يستعرض مدرسة القيم الاجتماعية والثقافية التي تعتبر مدخل مهم لدراسة خصائص المجتمع الحضري واستخدام المساحات داخل المدينة، حيث أشار الى رأي "ماكس فيبر" بأثر القيم على المجتمع الحضري، ويرى أن العديد من المدن مثل - القدس ومكة - اكتسبت مكانتها بفضل القيم الروحية التي تلعب دور مهما في تنظيم النشاط الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع المدينة، وقد توصل الدكتور اسحاق القطب الى القواسم المشتركة بين المدارس لوضع نظرية التحضر والتي حصرها في " الحيز (المساحة)، حركة السكان (الحجم الكثافة التوزيع)، توطن النشاطات الصناعية والتجارية والخدمية، الامتداد المكاني للمدن (العلاقة المتبادلة بين الامتداد والمكان الأصلي)⁽²²⁾.

ثانيا: المدن الجديدة

1. لمحة تاريخية حول المدن الجديدة:

كتاب 'Howard - 1898م - حول المدن الحدائقية للمستقبل تعتبر النواة الأولى لمفاهيم المدن الجديدة، التي ظهرت في إنجلترا بعد الحرب العالمية الثانية بحواف المجتمعات الحضرية، وبالأخص مدينة - لندن - لتنتشر فيما بعد عبر مختلف الجهات بالقرب من المناطق الصناعية والمناجم، تمثل مجتمعات جديدة مستقلة ومكتفية ذاتيا بها فرص عمل وخدمات ترويجية للسكان، ويرى أن مدن الحدائق كان هدفها الأساسي هو البعد عن ضوضاء لندن وخاصة عند زيادة عدد سكانها وظهور التكنولوجيا بها⁽²³⁾.

2. مفهوم المدن الجديدة: هي جزء من مجتمعات قائمة لها عاداتها وتقاليدها وأعرافها وبنائها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المحددة، فهي جماعات متكاملة تتم اقامتها من خلال خطط وبرامج لمقابلة مشكلات المجتمع الريفي والحضري على السواء⁽²⁴⁾. والمدن الجديدة بالمفهوم المعاصر لا تقتصر على انشاء مرآقد للسكان فقط، بقدر ما

يشترط في مخططاتها العمرانية أن تتوفر جميع الهياكل الأساسية والتجهيزات التجارية والاجتماعية والثقافية والادارية الضرورية، زيادة على تواجد المؤسسات الاقتصادية التي تضمن لها نوعاً من الاستقلالية⁽²⁵⁾.

2. مراحل انشاء مجتمعات العمرانية الجديدة:

انتهاج سياسة جديدة لإعادة توطين السكان من خلال إقامة مناطق توطين بشري جديدة تتوافر فيها مقومات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، يمر بثلاث مراحل:

1.2. المرحلة الهندسية (الإنشائية): تعتمد على دراسة مسبقة لطبيعة التربة والمناخ والأهداف، والنشاط الاقتصادي وطبيعة الجماعات الوافدة للمجتمع الجديد، تستغرق مدة زمنية تعتمد على طبيعة التمويل والتخطيط والأهداف.

2.2. المرحلة الاجتماعية: مرحلة التكوين الفعلي للمجتمع الجديد، يتم فيها نقل أو تهجير المستوطنين من المجتمع القديم إلى المجتمع الجديد، وتسبق هذه العملية دراسات مسبقة للجماعات الوافدة، إضافة إلى برامج توعية وإرشاد وتبدأ عملية التوطين وهي عملية اجتماعية في المقام الأول فتساعد الهندسة الاجتماعية المستوطنين على التكيف مع الواقع الجديد⁽²⁶⁾.

3.2. المرحلة التنموية: بإحداث تغيرات مخططة على مختلف الأصعدة، أي إحداث سلسلة من التغيرات التي تتم في إطار عملية مدروسة وفق مناهج محددة تتسم بالواقعية وتعتمد على مشاركة المواطنين في كافة مستويات التخطيط⁽²⁷⁾.

أسس تخطيط المدن الجديدة:- توفير العمل لغالبية السكان.

- ضمان تكامل الخدمات واستكمالها قبل البدء في عملية التوطين.
- امكانية تحقيق مستوى من التكامل بين الجماعات، وبين التنظيمات المختلفة داخل المجتمع.
- ضمان توفير المناخ الملائم للمشاركة الجماهيرية في تنمية المجتمع الجديد.
- المجتمع الجديد ما هو الا نمط من المجتمعات التي تنشأ بفعل ظروف اجتماعية معينة، أو تلبية لسياسة ما، أو نتيجة لبرامج مخططة من أجل مواجهة مشاكل الكثافة السكانية⁽²⁸⁾.

4. دوافع إنشاء المدن الجديدة: 1.4. دوافع اجتماعية: تتصل بالأسباب الديمغرافية والتي ترتبط بمشكلات السكان من حيث التوزيع، الكثافة، النمو...

2.4. دوافع اقتصادية: بمعنى توفر الموارد والإمكانات في مواقع معينة، ويمكن من خلال إقامة مجتمعات جديدة بها لاستغلال هذه الموارد بصورة اقتصادية.

3.4. دوافع سياسية: قيام المجتمعات الجديدة لأسباب تتصل باستراتيجية الدولة من النواحي السياسية والعسكرية، وما ينتج عن العمليات الحربية من دمار وما يتبع ذلك من إعادة بناء⁽²⁹⁾.

ثالثا: التحضر والمدن الجديدة في الجزائر

1. سياسة المدن الجديدة في الجزائر:

تبنت الحكومة الجزائرية استراتيجية المدن الجديدة لمواجهة التحضر السريع في الجزائر خاصة عبر الشريط الساحلي والتل، أين وصل التشعب الحضري أقصاه في المدن الكبرى والمتوسطة الحجم، وما نتج عنه من انعكاسات خطيرة على الوسط الطبيعي، وبالأخص تراجع مساحة الأراضي الفلاحية بسبب التوسع العمراني سواء كان ذلك منظما في إطار المخططات العمرانية، أو عشوائيا على شكل أحياء قصديرية تنقصها التجهيزات والهيكل الأساسية الضرورية للحياة الحضرية.

صادقت الحكومة الجزائرية سنة 1995م على عدة مشاريع من المدن الجديدة تنشأ بالقرب من المدن الميتروبولية (الجزائر، وهران، قسنطينة...) مثل مشاريع المدن الجديدة بالقرب من مدينة الجزائر "المحلمة بونيان، الناصرية، العفرون"، ومشاريع مماثلة لمدينتي وهران وقسنطينة علي منجلي وماسينيسا، ومدن مماثلة في الهضاب العليا "بوغزول"، زيادة على بعث التنمية الاقتصادية في الهضاب العليا والجنوب من أجل استقطاب الفائض السكاني الموجود في الشمال الجزائري، وتخفيض الضغط الديموغرافي على المستوطنات البشرية عبر الشريط الساحلي والتل و التي وصلت درجة التحضر بهذه المناطق حد درجة التشعب⁽³⁰⁾. التحضر يعني انتشار القيم والسلوك والتنظيمات الحضرية في مجال جغرافي معين⁽³¹⁾.

2. خصائص التحضر في الجزائر:

- أنه يعكس الواقع السياسي والتاريخي والاجتماعي للبلد.
- أن النمو الحضري في تزايد مستمر.
- أن عملية التحضر اتسمت بخاصية السرعة حيث تفوقت على طاقات وقدرات المدن الجزائرية.
- هذه الوضعية ساهمت في رفع معدلات النمو الحضري وجعلتها تفوق معدل النمو الاجمالي للسكان.
- التحضر استقطب أهم القوى الدافعة في تطور سكان الجزائر وأنه كان السبب الرئيسي في اخلال التوازن بين الريف والمدينة.
- تزايد عدد المراكز الحضرية في الجزائر يعكس الطاقات الكامنة في عملية التحضر من حيث خيارات التنمية والتخطيط المحددة من قبل الدولة.
- ارتفاع عدد المدن الصغيرة والمتوسطة لمواجهة التركيز الحضري.
- النمو السريع للمدن الكبرى وارتفاع كثافتها⁽³²⁾.

3. البيئة الحضرية الجديدة والتفاعل الاجتماعي:

يقول "Wirth أن التضر لم يعد يعني مجرد عملية يجتذب فيها أناس إلى مكان يسمى مدينة، ويندمجون في نظام الحياة فيها، بل أهم ما يستدعي اهتمامه في المدينة قدرتها على تشكيل الحياة والأحياء فيها في الصورة الحضرية، وهو يرى فيها بوتقة تنصهر فيها الأجناس، والشعوب، والحضارات...⁽³³⁾.

ويؤدي التفاعل الاجتماعي دورا فعالا في الحياة الاجتماعية وتوطيد العلاقات بين الأفراد، وتضمنه في المدينة عناصر تركيبية عمرانية كالساحات، والشوارع.. ونقصان هذه العناصر في البيئة الحضرية الجديدة يؤثر في العلاقات الاجتماعية، ويرى "Rappoport أن الحضارة تتجسد في ممارسات لمجموعة من البشر، يشتركون في مجموعة قيم ومعتقدات ومجموعة وجهات نظر ونظم الرموز المنتقلة عبر الأجيال، لتخلق نظاما من القواعد والأعراف والعادات التي تعكس الأفكار والمفاهيم محددة أسلوب الحياة والسلوكيات، وتحكم كل ذلك خلفية نشوء هؤلاء الأفراد في بيئتهم الطبيعية والثقافية، وذلك يقرر الصلة الوثيقة بين إدراك الإنسان للبيئة الحضرية والسلوك البشري⁽³⁴⁾، فالتحضر طريقة للحياة بما تتضمنه من مقومات اقتصادية، اجتماعية، ثقافية وسياسية... شرط أن تتجسد هذه الطريقة في أنماط للفكر والسلوك، ويمكن وصفه بأنه فكر حضري أي سلوك حضري وأسلوب الحياة يتحدد من خلال علاقة السكان بالبيئة المحيطة ومحاولتهم الاستفادة منها⁽³⁵⁾.

ويتجسد أثر السلوك في البيئة العمرانية في التعبير عن العلاقة بين الهيكل المعماري العمراني من جهة، والاجتماعي من جهة ثانية، فمن أجل تعزيز التفاعل الاجتماعي الفعال لمجتمع معين ينبغي على البيئة توفير أوساط ملائمة لتشكيل سلوك الأشخاص، وقد أكد أحد الباحثين العلاقة بين العناصر العمرانية والاجتماعية بالإشارة إلى وجود شبكتين أساسيتين، شبكة النشاطات البشرية وشبكة المجالات العمرانية.

يسمح التفاعل الاجتماعي في تشكيل المجالات على مستوى النسيج العمراني للفرد باكتشاف نفسه من خلال العوالم الاجتماعية التي ينتمي إليها، إضافة إلى ما يخلفه التفاعل من فئات وخلفيات مختلفة من علاقات حميمة تسهم في إحداث تغيرات ايجابية في المواقف، كما وقد تؤدي البيئة العمرانية الحديثة إلى إحداث شرح في العلاقة الاجتماعية مما يؤثر سلبا في التواصل والتفاعل الاجتماعي⁽³⁶⁾، ويذكر Philip Mayer عن التحضر "أن الهجرة إلى المدن لا تعني حدوث تحضر تلقائي، فالتحضر ما هو إلا عملية تغير ثقافي يتضمن تغيرا في القيم، والاتجاهات، والمواقف، و السلوك واتجاه هؤلاء المهاجرين نحو التوافق والاتساق مع الأنماط الحضرية المحلية⁽³⁷⁾.

4. معدل التماسك الاجتماعي للبناء الحضري للمدن الجديدة:

ويعتمد في الدرجة الأولى على العلاقات الاجتماعية القائمة بين الجماعات، والتي تتم من خلال عمليات التكيف والتمثيل الثقافي لتلك الجماعات⁽³⁸⁾. ويرى M. Benton أن التمثيل الثقافي Assimilation مصطلح يطلق على العملية التي تنتمي فيها جماعات من أصول سلالية أو ثقافية مختلفة، يعيشون معا، ويسود بينهم شعور بالتضامن، كما تتميز علاقاتهم بالتكيف وذلك نتيجة لاكتسابهم خصائص ثقافية مشتركة، كما يرى أن عملية التمثيل الثقافي هي نوع من التشابه في الفكر والتطابق في أنماط السلوك والمعتقدات والمشاعر، كما تشمل أيضا التماثل في العادات بين الأفراد والجماعات."

أما التكيف الثقافي Acculturation فهو العمليات التي من خلالها يقوم الأفراد أو الجماعات بالتكيف الضروري، وذلك من أجل التوافق مع النظام الاجتماعي الذي يعيشون فيه"، وحتى تصل الجماعة لمرحلة الاكتساب الثقافي أو التكيف الثقافي فإنه يجب أن تزداد العلاقات بين الجماعات ويتسع نطاق الاتصال المنظم، وهو ما يؤدي إلى ضعف حدة التنافس والصراع بين الجماعات في البداية حيث يتكيف من هم أكثر اتصالا ببعضهم البعض وهنا تدخل العلاقات مرحلة التمثيل الثقافي، ويرى "G. Foster" أن استخدام مصطلح الاكتساب أو التكيف الثقافي كان بداية القرن العشرين سنة 1930 على أيدي علماء الأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة، ويقصد به "تلك العمليات التي تحدث عندما تلتقي ثقافتين متباعدتين وذلك عن طريق الاتصال أو الاحتكاك الثقافي فيما بينهما"⁽³⁹⁾.

ويعتبر "Sorokin" أن قضايا التنمية تقوم على أساس المفهوم التكاملي في المجتمع والثقافة وهذا المفهوم الوظيفي يرى أن كل جزء من أجزاء النسق الثقافي الاجتماعي يمكن أن يتغير بالمعدل نفسه الذي يتغير بكل جزء آخر وإلا كانت النتيجة هي ظهور حالات من التمزق الاجتماعي وعدم التوازن الثقافي وأكثر من ذلك انتشار الفوضى الاجتماعية والاضطراب وقد أطلق "Sorokin" على ذلك بالتخلف الثقافي.

إن الخل والاضطراب في مكونات المدينة الجديدة شبيه بـ -anomie- حيث يشير إلى حالة انهيار البناء الثقافي، وهي تظهر بشكل خاص عند انحلال الروابط بين المعايير والأهداف الثقافية وبين قدرات الأفراد الاجتماعية على القيام بسلوك يتسق معها، فعملية التحديث تتسبب في إيجاد مجتمع معتل بمعنى أن الهياكل الاجتماعية لا تسيطر على الهياكل التقنية⁽⁴⁰⁾.

5. ضرورة التغير الاجتماعي بالمدن الجديدة في الجزائر:

يجب الانطلاق من العلاقة الوثيقة بين التغير الاجتماعي بما فيه التغير الفكري والنمو الحضري الاقتصادي في التجربة الجزائرية، وبالتالي الترابط بين مستوى التحضر والتغير الثقافي الملازم له، وقد حدد "Guy Rocher" ميزات فيما يلي:

- التغيير الاجتماعي ظاهرة جماعية يمس ظروف المعيشة وأكثر من ذلك التغيير في أنماط التفكير.
 - يجب أن يكون التغيير الاجتماعي تغييرا في البناء بمعنى إحداث تغييرات في التنظيم الاجتماعي.
 - يفترض التعرف على التغيير في البناء وفي الزمن بمعنى نستطيع تحديد مجموعة التحولات أو تسلسلها في نقطتين أو أكثر في الزمن.
 - يكون التغيير حقا في البناء كل تغيير اجتماعي اتصف بنوع من الديمومة بمعنى لا يجب أن تكون التغييرات سطحية.
 - وينتهي "Rocher" الى ضبط التغيير الاجتماعي أنه كل تحول ملاحظ في الزمن يمس بطريقة لا تكون فقط عابرة وإنما تغيير في البناء واشتغال التنظيم الاجتماعي لمجموعة معينة ويغير سير تاريخها⁽⁴¹⁾.
- إن هذا التغيير هو المفروض أن يحدث في المدن الجديدة الجزائرية من خلال تحول الوافدين نحو التحضر بحيث يشمل تحولا نوعيا في القيم واستبدالها بالقيم الحضرية الجديدة بما يتلاءم والمجتمع الجديد.
- إذ يرتبط وجود مدينة جديدة بالضرورة بتوفر مجتمع جديد مبني على أسس تخطيطية شاملة فهو نموذج بنائي جديد للمجتمع المحلي ينشأ وفق خطة محددة تستهدف توطيد عناصر بشرية بعد تهجيرها من بيئتها الأصلية إلى البيئة المحلية الجديدة، مع توفير كافة أساليب ومتطلبات العيش وخلق بيئة اجتماعية تتفاعل فيها من أجل إقامة علاقات اجتماعية جديدة للتكيف والاستقرار، لكن بقيت المناهج القديمة للتخطيط هي السائدة بالموازاة مع تغييب العنصر البشري في العملية التصميمية، ما أظهر مؤشر هيمنة عمرانية أكثر ضراوة من حركية الإنسان.

خاتمة:

نمو التجمعات الحضرية الكبيرة وزيادة معدلات التحضر وانتشار الحضرية كأسلوب في الحياة يصاحبه تغييرات في البناء الاجتماعي، حيث أن الانتقال الى الوسط الحضري الجديد يستوجب تبعا لذلك تحولا في العلاقات والمؤسسات الاجتماعية بشكل يتماشى والمظاهر المادية الحضرية الجديدة في إطار من التكامل والتناسق.

و لقد واجهت الجزائر أزمة حضرية لما يعاني مدنها من مشاكل فرضتها الكثافة السكانية العالية والتحضر السريع، وحتى المدن الجديدة رغم أنها تتسم بالتخطيط المسبق لم تسلم من هذا الأمر من خلال انتقال بعض المشاكل من المدينة الأم إليها، وهذا ما لاحظته الباحثة أثناء إجراء دراسة على المدينة الجديدة "علي منجلي بولاية قسنطينة"، إذ أنه استنادا الى الاتجاه الوظيفي فإن العلاقات والنظم الاجتماعية تشهد التوتر والخلل الوظيفي من خلال التصادم بين مستحدثات المدن الجديدة كبناء مستعار من التجربة الغربية وخصوصية المجتمع الجزائري، إذ أن حجم المشكلات الاجتماعية في المناطق الحضرية الجديدة يزداد حدة كلما سارت جهود التنمية بشكل سريع وبطريقة غير متسقة أو

متوازنة للجانبين المادي واللامادي الاجتماعي ودون عملية المحاسبة والمراجعة وهو الشأن الذي يساعدنا أولا على عملية الاستيعاب والتجاوب مع عملية الترشيح، وثانيا تحقيق قدر كبير من التوازن بين جوانب التحديث المادية واللامادية في المدن الجزائرية، وذلك يتوقف على مدى فعالية النظام الكلي للدولة الذي يحتوي المدينة نفسها من خلال خطط أصحاب القرار، لكن الاشكال الذي طرح هو أنها عوملت معاملة مشاريع البناء أو الاسكان بمفهومها الانشائي وليس بمفهومها الاستيطاني المتضمن الجانب الانساني والاجتماعي، ومنه السؤال المطروح ما هي آفاق ومستقبل المدينة الجديدة بالجزائر في خضم الهيمنة العمرانية على حساب البناء الاجتماعي؟

الإحالات والهوامش :

- 1 ابن منظور (2006): لسان العرب، ضبط نصه د. خالد رشيد القاضي، ج15، دار صبح وايدوسف، بيروت- لبنان، ص 659.
- 2 د. هالة منصور (2001): محاضرات في علم الاجتماع الحضري، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ص 62.
3. قباري محمد اسماعيل (د. ت.): علم الاجتماع الحضري: مشكلات التهجير والتغير والتنمية، منشأة المعارف، مصر، ص 50.
- 4 محمد عباس ابراهيم (2000): التنمية والعشوائيات الحضرية، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص 68.
- 5 د. محمد أحمد غنيم (1987): المدينة - دراسة في الانتروبولوجيا الحضرية - دار المعرفة الجامعية، مصر، ص 35.
6. محمد بومخلوف (2001): التضرر، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، ص 25.
7. محمد بومخلوف (2001): التضرر، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، ص 26.
8. Grafmyer Yves et Josef Isaac 1984: L'école de Chicago-naissance de l'écologie urbaine, Aubier-montagne. Paris P177
9. محمد بومخلوف (2001): التضرر، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، ص 59.
10. محمود الكردى (1986): التضرر - دراسة اجتماعية -، الكتاب الأول - قضايا ومناهج -، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص 06.
11. محمد بومخلوف (2001): التضرر، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، ص 62.
12. محمود الكردى (1986): التضرر - دراسة اجتماعية -، الكتاب الأول - قضايا ومناهج -، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص 58- 59.
13. محمد بومخلوف (2001): التضرر، دار الأمانة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، ص 61.
- 14 مصطفى الخشاب (1986): علم الاجتماع، المكتبة الانجلومصرية، مصر، ص 27.
- 15 د. محمد أحمد غنيم (1987): المدينة - دراسة في الانتروبولوجيا الحضرية - دار المعرفة الجامعية، مصر، ص 35.
- 16 حسين عبد الحيد أحمد رشوان (2005): التخطيط الحضري - دراسة في علم الاجتماع - الأثرية، مصر، ص 50.
- 17 حسين عبد الحيد أحمد رشوان (2005): التخطيط الحضري - دراسة في علم الاجتماع - الأثرية، مصر، ص 51.
- 18 أحمد الأصفر (2002): التضرر، الموسوعة العربية، المجلد السادس، ص 112.
- 19 د. راكيشموهان (2009): عمليات التضرر والعمولة في القرن الواحد والعشرين، مجلة العالم الحضري، العدد 01، ص 10.
- 20 د. أحمد بوزراع (د. ت.): التطوير الحضري والمناطق المتخلفة بالمدن - دراسة نظرية في علم الاجتماع الحضري - منشورات جامعة باتنة، ص 138.
- 21 صبحي محمد قنوص (2008): دراسات حضرية - مدخل نظري - ط 3، منشورات بنغازي ليبيا، ص 195.

- 22 أبو عياش عبد الله والقبط اسحاق يعقوب (1980) : النمو والتخطيط الحضري في دول الخليج العربي وكالة المطبوعات ، الكويت ، ص 100.
- 23 - Howard.E 1945: *Garden Cities of tomorrow*, Faber Fater, London,,p85"
- 24 د. هالة منصور (2001) : *محاضرات في علم الاجتماع الحضري*، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ص 381.
- 25 بشير تيجاني (2000) : *التحضر والتهيئة العمرانية*، ديوان المطبوعات، الجزائر، ص 74.
- 26 د. حامد عبد الهادي (د.ت) : *الاجتمعات الجديدة بين العالمية والمحلية*، دراسة للحالة المصرية، مكتبة غريب، مصر، ص 40.
- 27 د. حامد عبد الهادي (د.ت) : *الاجتمعات الجديدة بين العالمية والمحلية*، دراسة للحالة المصرية، مكتبة غريب، مصر، ص 41.
- 28 مصطفى عمر حمادة (2001) : *المدن الجديدة*، دراسة في الأنثروبولوجيا الحضرية، ط 1، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص 27.
- 29 محمد سيد فهمي (2005) : *الاجتمعات الجديدة بين التنمية والعشوائية*، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ص 27.
- 30 بشير تيجاني (2000) : *التحضر والتهيئة العمرانية*، ديوان المطبوعات، الجزائر، ص 74.
- 31 علا سليمان الحكيم (1988) : *ظاهرة التحضر ونمو المدن*، ندوة التوسع الحضري، معهد التخطيط القومي، القاهرة، ص 43.
- 32 عبد العزيز بووذن (2005) : *التحضر في الجزائر*، الباحث الاجتماعي، العدد 5، ص 161.
- 33 غريب سيد أحمد (2006) : *علم الاجتماع الحضري*، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص 47.
- 34 - Rappoport Amos 1977 : *Human aspect of urban form* Oxford Pergamon press
- 35 أحمد زايد (2003) : *دراسات في علم الاجتماع*، ط 1، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، مصر، ص 193.
- 36 ديب بلقاسم (2009) : *البيئة العمرانية الجديدة والمرمى الاجتماعي في المدينة الجزائرية*، مجلة جامعة دمشق، المجلد 25، العدد 1+2، ص 450-451.
- 37 د. محمد أحمد غنيم (1987) : *المدينة - دراسة في الأنثروبولوجيا الحضرية* - دار المعرفة الجامعية، مصر، ص 35.
- 38 د. مصطفى عمر حمادة (2008) : *المدن الجديدة دراسة في الأنثروبولوجيا الحضرية*، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر، ص 206.
- 39 د. مصطفى عمر حمادة (2008) : *المدن الجديدة دراسة في الأنثروبولوجيا الحضرية*، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر، ص 207.
- 40 عبد الله بن الحسن العبادي (1990) : *قضايا التنمية في بلدان الخليج العربي - منظور نقدي - المستقبل العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت العدد 140 1990 ص 115.
- 41 - Guy Rocher 1968: *Le changement social introductions a la sociologie générale* hmh pp 22